من عمل صالحاً فلنفسه

عبد الملك القاسم

مصدر هذه المادة:

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار القاسم

المقدمة

الحمد لله هـدى من شـاء من عبـاده، والصـلاة والسـلام على نبينا محمـد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فـإن الأمة ولله الحمد تزخر بأهل الأعمـال الصـالحة والأفعـال الطيبـة، وهـذه مجموعة مختارة من قصص سمعتها لأخبـار السائرين إلى الدار الآخـرة، كتبتها للاقتـداء والتأسـي، وتـرك الغفلة وبـذل الوسع في طاعة الله عز وجـل، وكـذلك الرغبة في إشاعة الخير والدلالة عليه.

وهي امتداد لكتيبات سـابقة مثـل: «هل من مشمر؟» و«غراس السنابل» وغيرهما.

أدعو الله عز وجل أن يكتب فيها النفع والفائدة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

العابدة المطلقة

تــــزوجت من رجل يكبرها بســـــنوات، وكانت فرحة جذلي بهـذا الـزواج، رغبة في أن يكـون مكتمل العقل ناضج الفكـر، لكنه كـان على عكس ظنهـا، فقد كـان سـيء الخلق لا يعجبه العجب ولا يرضى عن كل جهد، حتى كثر الشقاق وبدأت تظهر معـالم الفرقة وسارت الأمور من سيء إلى أسـوأ فكـــــانت النهاية المحتومة بعد صـــــبر طويل.غـادرت مـنزل الـزوج مطلقـة، وهي تحدث نفسـها: لعل الله عز وجل اختـار لي أن أتفرغ للعبادة والطاعة، وتبرأ ذمـتي من مسئولية الـزوج! وكـان الله عز وجل لطيفًا بها فجعل قـــرة عينها في الصـــلاة، تفـــرح لإقبال الليل وإدبار النهـار حـتى تنـاجي ربها في الثلث الأخـير، وأعـدت لنفسـها صـيام داود عليه السـلام فهي تصـوم يومًا وتفطر يومًـا. واسـتمرت الأيـام ولم تشـعر بوحشة ولا فـــراق، ولم يكن حـــديث النـــاس عن المطلقة يعدل ليلة من المناجـاة لربهـا!إنها امرأة صابرة محتسبة علمت أن ما نزل بها

من مصـائب الـدنيا فرضـيت بقـدر الله عز وجل. ويسر الله لها الفـرج القـريب، وكـان اليسر بعد العسر..

فلم تطل بها الأيـــام حـــتى أتاها زوج يطلب يدها. فترددت كثيرًا حتى أشـار عليها من تثق فيـه، وقـال لهـا: ما سـبب الـتردد؟ ولمـاذا لا تـوافقين؟ قـالت: أريد أن أصـوم وأصلي!

قال لها: خدمة الزوج عبـادة وقربة إلى الله عز وجل فـأنت في خـير وعبـادةـ لكن نفســــــها تراودها بين الحين والآخر بين الرفض والموافقـة. وعنـدما اسـتخارت الله عز وجل مرات عديدة اسـتقر بها الأمر إلى الموافقـة.. عنـدها سـأل الخـاطب: هل لها شـروط؟. قـالت: نعم لي شـرط واحـد: أن يـأذن لي بصـيام ثلاثة أيـام من كل أسـبوع، قـال وكـان محبًا للخـير، مقبلاً على صـاحبة الطاعة: لك الشرط. لقد كان همها منصرفًا إلى نافلة تســتجوب إذن الـــزوج كما أمر النبي بذلك. فرحت بالموافقة وسرت بها. ودخلت بيت الزوجية وهي تحلم بأمل

عظيم ويراودها رجاء كبير وحسن ظن بالله عز وجل الذي يسر لها أمر العبادة والطاعة أن يتقبلها منها وأن يــدخلها الجنة برحمتــه! «ومن عمل صالحًا فلنفسه» .

ثلاثة أجزاء

امرأة شابة متزوجة ولها أبناء صغار، لكنها محبة لكتاب الله عز وجل، تقرؤه آناء الليل وأطراف النهار، لا تكل ولا تمل من ترداده. تقرأ ما تيسر لها من القرآن حفظًا عن ظهر قلب. أو قراءة في المصحف. لم يكن عمل المنزل، ولا رعاية الأبناء، ولا الاهتمام بالزوج، صارفًا لها عن أحب ما تملك وهو قراءة كتاب الله عز وجل. ولما أتى شهر شعبان بدأت تستعد لشهر الصيام وتعد العدة: فقامت في مطبخها لتحضير ما يكفي لشهر كامل من المأكولات المرغوبة في شهر الصيام، وكان همها التفرغ للعبادة في هذا الشهر العظيم، وقالت وهي تعد العدة: لعله آخر رمضان... شمري يا نفس واتركي لذيذ النوم وكثير الكسل والخمول. ولما دخل أول يوم من شهر رمضان وضعت لنفسها ولأبنائها جدولاً لقراءة القرآن وتلاوته. فيسر الله أمرها وأعانها، وفي ما بين المغرب والعشاء وهو وقت ضائع عند الكثير كانت تقرأ ثلاثة أجزاء! نعم

ثلاثة أجــزاء فيما بين العشــاءين ولم ينقص من طعامها شي، ولا من ترتيب منزلهـا، ولا من شـئون زوجهـا. لقد أعانها الله عز وجل ويسر لها طريق الطاعة بالتوفيق مع العزم والمثابرة.

ولا تــزال تــردد في نفســها بين الحين والآخر في وجل وخوف قـول ابن عـوف: لا تثق بكثرة العمل، فإنك لا تـدري أيقبل منك أم يـــرد، ولا تـــأمن ذنوبك فإنك لا تـــدري أكفـــــرت عنك أم لا! إن عملك مغيب عنك كله.

النفقة

أعمال الخير متنوعة متعددة كل بحسبه وقـــدره! هنـــاك من فتح الله عليه في أمر الصـيام فهو لا يفطــر، وآخر في القيـام فلا يفـتر، وثـالث في الإنفـاق فلا يـتردد، ورابع في تعليم كتاب الله عز وجل، وخـامس في رعاية الأيتـام والأرامــل. وصــاحبنا فتح الله على يديه في الإنفـاق فكـان ينفق من ماله الكثـــير على قلتـــه. فها هو يكفل الأرامل ويواسي المحتــاجين، ويحـــرص على تفقد أحوالهم. ثم هو أيضًا يسـاهم في المشـاريع الخيريـــة، وأحسب أن له في كل مـــوطن نفقة سهمًا حتى وإن كـان صـغيرًا فقد تـأثر بقـول قـرأه: «اسـتطعم مسـكين عائشة - رضي الله عنهـا- وبين يـديها عنب. فقـالت لإنسـان: خذ حبة فأعطه إياهـا، فجعل ينظر إليها ويعجب، فقــالت عائشــة: أتعجب؟ كم ترى في هذه الحبة من مثقال ذرة»[(1)].

وعنـــدها كـــان ينفق الخمسة ريـــالات لعامل النظافة ويسقيه شربة المــاء ويناوله

---

1 (?) التمهيد لابن عبد البر (4/302).

اللقمــة، ويشــتري للصــغار قطعة حلــوى يحبونها رغبة في إدخـــال الســـرور على قلوبهم.

يومًا ســـأله أحد أخص المقـــربين له وقــال: راتبك قليــل، وأظن أنك تنفق أكـثر من مرتبك فهل لديك مصدر دخل إضـافي؟ فأجـــاب بثقـــة: الحمد لله ما شـــكوت من ضـائقة ماليــة! إلا ضـائقة في صــدري بين الحين والآخر، أن أرى الفقير ولا أجد الكثير لأنفقه له. هـذه الضـائقة، أما غيرها فـأمري ولله الحمد ميســـر، فما اســتدنت طـــوال حياتي، ولا أعـرف الـدين مطلقًـا، ونعم الله علي لا تعد ولا تحصى!

وقفة:

في الحـــديث القدسي أن الله عز وجل قال:

«**يا عبـــادي، إنما هي أعمـــالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياهــا، فمن وجد خـــــيرًا فليحمد الله**، **ومن وجد غـير ذلك فلا يلـومن إلا نفسه**» [رواه مسلم].

وقفة للمشمرين

قال تعالى: ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾ [الزلزلة: 7، 8**]**.

قال **بعض أهل اللغة:** وإن الذرة هو أن يضرب الرجل بيده على الأرض فما علق من التراب فهو الذرة**.**

وقيل: الذر: هو ما يرى في شعاع الشمس من الهباء.

قال ابن القيم-رحمه الله-:

(وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية-قدس الله روحه- يقول: إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك وانشراحًا، فاتهمه، فإن الرب تعالى شكور. يعني أنه لابد أن يثيب العامل على عمله في الدنيا من حلاوة يجدها في قلبه، وقوة انشراح، وقرة عين فحيث لم يجد ذلك، فعمله مدخول)[1].

---

1 (?) المستدرك على مجموع فتاوى ابن تيمية(1/153)

مصلى الجامعة

كانت الجامعة بداية انطلاقة أعمال النوافل لديها، وكان المصلى محضنًا طيبًا لبث روح المسابقة إلى الله عز وجل. وكانت المحاضرات التي تلقى نبراس خير ودلالة.

سمعت بفضل صيام التطوع، وسرها سماع حديث النبي ﷺ : **«ما من عبد يصوم يومًا، في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا»** [متفق عليه]، فكانت بعد هذا الحديث من المسارعات إلى الصيام بكثرة، فأحيانًا تصوم يومًا وتفطر يومًا، وفي كل شهر تصوم أيام البيض، ويومي الاثنين والخميس من كل أسبوع.

وكانت أول مشكلة واجهتها تناول غداء الطعام مع أهلها، فاعتذرت بتأخرها وانتظارهم لها، وقالت: لا تنتظروا، وتناولوا الطعام، وإذا أتيت من الدراسة أنام حتى العصر، وبعد العصر أتناول الغداء. فكان لها ذلك، فإذا أذن المؤذن لصلاة العصر وأدت

الصــلاة دلفت إلى المطبخ، فلا يكــون فيه أحــد، فتغـير مواضع الطعـام وتغسل بعض الأطبـاق حـتى يظن أنها تنـاولت غـداءها. وهكذا استمرت بها الحـال شـهورًا طويلـة، وإن رأتها والـــدتها يومًا أســـرت لها بأنها صائمة، حتى لا تغضب من عدم الأكل.

وهكـذا تطـوى صـحيفتها يومًا بعد يـوم، وشهرًا بعد شـهر، وسـنة بعد سـنة، «**ومن عمل صالحًا فلنفسه».!**

(ولو مرة...)

سمع يومًا أحد الـدعاة وهو يتحـدث عن الطاعة والعبــادة ثم ذكر قــولاً لعمــرو بن قيس: «إذا بلغك شيء من الخير فاعمل به ولو مرة تكن من أهله ».

ثم تـذكر حـديث النـبي عنـدما سـأل أصـحابه فقـال: «**من أصبح منكم اليـوم صائمًا؟**» قال أبو بكـر-رضي الله عنـه- أنـا، قـال: «**فمن تبع منكم اليوم جنـازة؟**» قــال أبو بكر -رضي الله عنــه- أنــا، قــال: «**فمن أطعم منكم اليــوم مسـكينًا؟**» قال أبو بكر-رضي الله عنه- أنـا، قـال: «**من عاد منكم اليوم مريضًـا**» قـال أبو بكـر- رضي الله عنه- أنا، قال رسـول الله : «**ما اجتمعن في امـــــرئ إلا دخل الجنة**» [رواه مسلم].

وعزم بعد سماع هـذا الحـديث أن يفعل كل أبــواب الخـير هـذه في يـوم واحـد، ثم راودته نفسه الدلالة على الخـــــير، وعظم أجرها، فقال: لعل زوجتي تعلم بهذا فنكـون ســويًا في هــذه الطاعــة. وعنــدما أخبرها

سـرت بـذلك وفـرحت. فقاما من الليل وتسحرا وأصبحا صائمين، وتصدق الزوج عنه وعن زوجته في ضحى ذلك اليوم على فقير وجده، ولما أذن المؤذن لصلاة العصر قصدا أحد الجوامع الكبيرة المعروفة بكثرة الجنائز فصليا معًا على جنائز عدة كانت حاضرة تلك الصلاة، وزارا بعد خروجهما من المسجد مريضة قريبة لهما وأكثرا من الدعاء أن يتقبل الله عز وجل ما عملا، وأن يغفر لهما ذنوبهما، وسارعا إلى بث هذا الحديث وتذكير الناس به للعمل والاقتداء.
«**ومن عمل صالحًا فلنفسه**»!.

العجوز العاملة

سخر الله عز وجل للإنسان السعي في أمور الدنيا، لا يكل ولا يمل، في شبابه وشيخوخته، في حال مرضه وصحته. لكن من أراد الله به خيرًا يسر له عمل الطاعة، وأولها همة في القلب، تحرك الجوارح.

قال شميط بن عجلان عن قيام الليل لكبار السن وقد ضعفت أجسامهم، وأصابتهم الأسقام والأوجاع، ومع هذا

يقومــون الليل قــال: «إن اللــه-عز وجــل- جعل قوة المؤمن في قلبه، ولم يجعلها في أعضائه، ألا تـرون أن الشـيخ يكـون ضـعيفًا يصـوم الهـواجر، ويقـوم الليـل؟! والشـباب يعجز عن ذلك ».

وكـــانت صـــفية بنت ســـيرين توصي فتقـول: «**يا معشر الشـباب خـذوا من أنفسكم وأنتم شباب، فإني ما رأيت العمل إلا في الشباب». **وقبلها النـبي الــذي قــال في حــديث عظيم: «**بــادروا بالأعمـــال ســـبعًا، هل تنظـــرون إلا فقـــرًا منســـيًا، أو غـــنىً مطغيًـــا، أو مرضًـــا مفســـدًا، أو هرمًا مفنـــدًا، أو موتًا مجهـزًا أو الـدجال فشر غـائب ينظـر، أو السـاعة أدهى وأمر» **[رواه الترمذي**]**.

امــرأة كبــير مســنة احــدودب ظهرهــا، وارتعشت أطرافهــا، وهــزل جســمها، لكن الله عز وجل اســـــتعملها في طاعته فهنيئًا لها هـــذا الخـــير، وقد قـــال ابن القيم في الفوائــد: (من أراد من العمــال **أن** يعــرف

قدره عند السـلطان فلينظر مـاذا يوليه من العمل؟ وبأي شغل يشغله**؟).**

هذه المرأة ولت وجهها نحو الدعوة إلى الله رغم كـبر السـن، وعـدم القـراءة أو الكتابة..

قـالت إحـدى الـداعيات: ذهبت يومًا إلى المستشفى في الصباح البـاكر فـإذا بي أرى امرأة كبيرة في السـن، تـأتي مبكـرة مثلي، ولعل ابنها أتى بها وذهب إلى عملـــه، لكن طـال تعجـبي وهي تحمل كيسًـا كبـيرًا يخط منها على الأرض بين الحين والآخـر، حـتى اسـتوت على كرسي في غرفة المراجعة فشـمرت عن سـاعدها وفتحت الكيس، ثم بـدأت تـوزع الكتب على المراجعـات، وكلما أتت مراجعة جديـدة وجلست قـامت إليها وأهدتها كتابًا قـالت الداعيـة: فجـاء موعـدي وقمت إلى الطبيبـة، ثم إلى مراجعـات في المستشفى انتهى بي إلى الصـيدلية، ثم إلى عدت إلى مكـاني الأول الـذي أتيت إليه قبل أربع ساعات، فإذا المرأة في مكانها، وتعمل عملهـا، فعلمت أنه من أكـبر الـداعيات، وما

أتت إلى هذا المكان إلا لهـذا العمل العظيم، ومع تأكــدي من بعد منزلهــا، وكــبر ســنها، وضـعفها، ومع هـذا تحمل كيسًـا لا يحمله إلا الأشـداء من الرجـال، يا تـرى كم من امـرأة استقام أمرهـا؟ وكم من فتـاة صـلح حالهـا؟ كم من سـافرة تحشـمت؟ وكم من مفرطة أنـابت؟ وكل ذلك في مـيزان حسـنات هـذه المـــرأة العجـــوز لا ينقص من أجر الفاعلة شيء! أليست هـذه نعمة من الله عظيمـة؟ بلى والله!

دعونا نـأت لأمر أقـل: كم مـرة نـذهب إلى المستشفيات؟ قد يكون مرة أو مرات، دعونا نســتثمر هــذه الفرصة بحمل الكتب إلى أماكن المراجعين والمراجعات. هـذا إن ضعفت الهمة عن فعل المـرأة العجـوز وإلا فنحن أحق وأولى من الضــعيفة المســكينة لكن! ذلك فضل الله يؤتيه من يشـاء «ومن عمل صالحًا فلنفسه».!.

العزة لمن؟

«داداب»منطقة صحراوية قاحلة، تقع على الحدود بين كينيا والصومال، وكانت نقطة تجمع للاجئين الصوماليين الفارين من جحيم الحرب الأهلية في بلدهم. فاجتمع بها عدد كبير من الرجال والنساء والأطفال، يفوق ثلاثمائة ألف لأجئ. وقد أقامت إحدى عشرة منظمة تنصيري مواقع لها في معسكرات اللاجئين، وفي وسط الحشد الهائل من المنظمات الغربية لا توجد سوى مؤسسة إسلامية وحيدة- بارك الله في جهودها- وهي مؤسسة الحرمين الخيرية، فأقامت في كل معسكر عشرات المساجد، وبدأت تعلم الأطفال وتدرسهم حتى بلغ عدد الطلاب في مدارسها المقامة في تلك المنطقة أكثر من ثلاثين ألف طالب، وهذه المعلومات ليست جديدة على القارئ فقد كتبت فيها تقارير وافية لمن زارها من الدعاة وكذلك مندوبي مؤسسة الحرمين الخيرية.

في هذه البقعة الجرداء تظهر

الصــراعات العجيبــة، مع الفقر والمــرض والحاجــة، وتسـعى المنظمـات إلى دعـوة المســلمين إلى التنصــر، بشــكل علــني ومباشر، وشعار الجميع المبطن (النصـرانية أو الموت).

لا يرقبـون في مسـلم إلاًّ ولا ذمـة. إنها حـرب اجتمع فيها على المسـلمين التنصـير مع الجوع والعطش والفاقة والمرض! وفي وسط هــذا الســواد المظلم من دعــوة النصارى، وجوع المسلمين وحاجتهم، جرت أحــداث بســيطة، وواقعة ســريعة تمثل الاعــتزاز بالــدين ورفع الــرأس بــه، حيث طلبت الأمم المتحــــدة هنــــاك اجتماعًا للمنظمـــات العامــــة، بما فيها مؤسسة الحرمين، وكان مندوب المؤسسة هناك من الشـباب السـعودي، قـال وهو يحـدثني: لما دعيت إلى الاجتمـــاع وجـــدت أن الموعد يوافق صلاة الجمعـة، وكـأنهم وقتـوا للأمـر. فاعتذرت لهم برسالة خطية بـأنني مسـلم، وهذا وقت صلاة الجمعـة، ولا يمكنـني إجابة الـدعوة، ونظـرًا لحـاجتهم لحضـوري لأمـور

تنسـيقية مهمة أعـادوا الكتابة وسـؤالي عن الوقت المناسب.فأرسلت لهم بأن الســاعة الواحدة والنصف من ظهر يوم الجمعة، بعد انتهاء الصلاة موعد مناسـب، وكـررت كلمة الصلاة، والإسلام في الخطاب كثيرًا.

قـال: فأجـابوني إلى طلـبي، ولما أديت صــلاة الجمعة خطيبًــا، يممت نحو مكــان الاجتمــــــاع، وحين دلفت إلى القاعة وقد اكتمل عقد الحضور فإذا بامرأة سـافرة في وسط الجمـــــع، مندوبة عن مؤسسة تهتم برعاية الطفولــة، فــتراجعت ولم أدخــل، فـــأدركني المســئول المنظم للاجتمـــاع وتساءل. لماذا عدت؟ ماذا جرى؟ قلت لــه: أنا مســلم ولا أجلس في مكـان فيه امــرأة ســافرة لست محرمًا لهــا. فــدخل عليهم ليبــدي وجهة نظــري، وســمعتهم يتــداولون الأمر، ثم بعد برهــة، إذا بـالمرأة تحـرج من الاجتمـاع وتمر بجـواري خارجة من القاعـة. عندما دخلت بعـزة وشـموخ، وجلست على كرسي معد لي، ووضع أمامه اسم مؤسستي. وبدأ الاجتماع في وسط الحضور

الكبير، وخلال دقائق فـإذا بي أسـمع صـوت المرأة وقد أطلت بنصف رأسـها مع البـاب، وهي تسـتأذن في الـدخول. فلما لمحتها إذ بها وضعت غطاء على رأسـها. عنـدها أذنت لها بالدخول وقلت بصوت مسموع: بشـرط أن تبقى خلفي حـتى لا أنظر إليهـا. فقبلت وسر الجميع بهـذا القبـول مـني وشـكروني على ذلك، وعندها أسهبت في الحـديث عن تكـريم الإسـلام للمـرأة، وكيف هي مكانة الأم، والأخت والزوجـة!؟ والعجيب أن أحـدًا لم يقـاطعني، أو يسـتدرك علي! لكـني أصدقكم الحديث بهذه التجربة دين الإسـلام .. دين العـزة والشـموخ، لكن من يرفع به رأسًا!

الشاب وقيام الليل

شـاب نحيل الجسم كثـير الحيـاء قليل الكلام، همه الإسـلام، وأين مـواطن العمل لهـذا الـدين؟ إن رأيته فهو على عجلة من أمـره يلقي لك ما لديه ثم ينصـرف! هـذا الشاب لم يتجاوز عمره السابعة والعشرين ومع هذا خدم وقدم للإسلام الكثير.. ترى له في كل عمل لبنة يضعها، أو رأيًا يسـديه، أو دعاء يزجيه!

كل هـذا المعلومـات يعرفها المقربـون منه ومن يعملـون معـه. لكـني سـألت يومًا من سافر معه، عن رحلتهم الدعوية، وكيف أمورهم وهل واجهـوا مشـقة أم لا؟ فأجـاب صـاحبنا بـالنفي وحمد الله على تيسـيره. فلما سـألته عن فلان الشـاب النحيل هـذا، تعجب من أمر لم أكن أعرفه من قبل. فقد تحدث عن معرفة وصـحبة في ليـال طويلة فيها التعب، والإرهـاق، والمشـقة، والعنت، ومع هذا أثـنى عليه بـأمر تهفو له النفـوس، وتتطلع له القلـوب، قـال: إنه صـاحب قيـام ليل طويل! سكت وظننت به خـيرًا، فغـالب

الشباب الذين يعملون في حقل الدعوة لهم ورد يومي قل أو كثر. لكني تعجبت عندما قال لي: إن هذا الشاب النحيل يقوم الليلة الواحدة بخمسة أجزاء من القرآن! وما رأيته نقص طوال رحلتنا عن ذلك! خاصة في أيام نواجه فيها التعب والنصب والإرهاق.

لقد كبر الشاب في عيني وكلما رأيته بعد هذه المعلومة خطرت في بالي آية من كتاب الله عز وجل: ﴿**وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا**﴾ [الإسراء: 19] حمد الله على نعمة هدايته.. غيره يقوم الليل في رقص ولهو، وهو يقوم مصليًا عابدًا.. غيره يركض في مهاوي الرذيلة، وهو يركض في سبيل الله عز وجل. «ومن عمل صالحًا فلنفسه»!

وقفة: كان منصور بن المعتمر يصلي في سطحه، فلما مات، قال غلام لأمه: يا أماه: الجذع الذي كان في سطح آل فلان ليس أراه؟

قــالت: يــابني ليس ذاك بجــذع، ذاك منصور قد مات.

الجارة الداعية

عندما جئت إلى الرياض لم أكن أعـرف بها أحـدًا، وحـرص زوجي جـزاه الله خـيرًا على أن أتعرف على أخـوات طيبـات، قـال لي: إنهن نشـيطات في الـدعوة إلى اللـه، فعسى أن تتعـاوني معهن.. ولكن مـرت الأيام ولم أر أثرًا لذلك التعاون، بـالرغم من أنني كنت أتحـدث معهن عن الأعمـال الـتي كنا نمارسـها، وبينت لهن أني على اسـتعداد للمشـاركة معهن في أي عمل دعـوي، ولكنني لم أتلق أي إجابة.. مرت عليَّ الأيام ثقيلة.. ثقيلـة.. فقد كـانت الـدعوة إلى الله تنتشـلني انتشـالاً، مما أنا فيـه، وتنسـيني همـومي الدنيوية لتجعل همي هم الآخـرة.. فكيف لي أن أعيش دون دعوتي؟... رجعت إلى أوراقي وأقلامي أنظر إليها بأسى.. وما وجـدت طريقًا سـوى أن ألخص بعض الكتيبـات، وألخص بعض الأشـرطة، أو أن أكتب مواضيع معينة، أحاول أن أبحث فيها.. وأحيانًا كنت أكتب فوائد في بطاقـات أعطيها زوجي ليستفيد منهـا.. وأحيانًا أبحث

في المجلات الإسـلامية عن مواضـيع تصـلح لأن تكتب في نشـــــــرات، وتــــــوزع في المـدارس، وهـذا ما تم بالفعل والحمد للـه، إذ لابد أن أشارك ببعض الأعمــال، ولابد من أفكـــار دعوية تـــوزع على منطقتنـــا، وعلى المدارس. وهكذا مرت سنة كاملة على هذا الوضع.. إلى أن عرضت على جـارتي إلقـاء دروس في منزل إحدى الأخوات..ـ حقيقة.. لم أكن متمرسة في إلقاء الدروس بكثرة.. فقد كنت مقلة جـــدًا.. كنت أفضل الـــدعوة الورقية (أقصد الكتابة وإعـــداد النشـــرات واختيار الكتب وهكذا) .. وكنت أشـعر أنــني لست بالجريئة عند مواجهة الناس.. ولكنني هنا شـعرت بـأنني لابد أن أقبـل، فهـذه هي الوسيلة الوحيدة المتاحة لي.. فتوكلت على الله وذهبت، وما تـوقعت أن يكـون قبـولهن إلى هذه الدرجة ولله الحمد والمنة من قبل ومن بعد.

وتكــــرر هــــذا الأمر والفضل لله أولاً وأخـــيرًا.. ثم لتفهم زوجي لــــدور المــــرأة المسلمة في الدعوة.. ما كان يتوانى، جزاه

الله خيرًا عن إيصالي لمعارف جـارتي مهما بعد البيت.

من المواقف الــتي تــأثرت بها : أنــني حـــدثتهن مـــرة عن الظلم.. وبينت لهن أن المرأة تظلم زوجها عندما تسيء معاملتـه.. وذكـــرت لهن مجموعة من الأحـــاديث عن حسن معاملة الزوجة لزوجهـــــا.. قلت لهن عن المرأة الـودود الولـود العئـود، الـتي إذا غضب عليها زوجها أتته فوضــــعت يــــدها وقالت: لا أذوق غمضًا حـتى ترضـى!! قلت لهن: العئـــــود الـــــتي تعـــــود إلى زوجها لتسترضــــيه في حــــال كونها مظلومة أو ظالمة، بل في حال كونها مظلومة أكـد.. إذ لا فضل لها في الاعتـذار إن كـانت ظالمـة، ولكن الفضل كل الفضل أن تعـــــــذر وهي مظلومة.

حــــدثتهن عن ظلم الإنســـان لجوارحه أذنيه ... عينيه .. يديه .. باســــــتخدامها في معصية الله.. وكم حـزنت عنـدما علمت أن منهن من ســـهرن تلك الليلة على ســـماع الموسيقي والـرقص.. كيف حـدث هـذا وقد

حــدثتهن عن الظلم.. كيف يظلمن آذانهن.. في سماع مـالا يرضي الله ويسـتغللن نعمة السمع في معصية الله.. تأثرت حينها..

ولكن بعد فترة قصيرة، جاءتني جــارتي لتخــبرني بــأن فلانة الــتي حضــرت معنا الـدرس، في ذلك اليـوم تجهـزت للخـروج، في نفس اليوم الذي سمعت فيه الــدرس.. تجهـزت لحضـور حفلة زواج.. وكـان زوجها منشغلاً بإصلاح بعض الأعمال في منزلهم.. فلما رآها تهتم بـالخروج، وقد كـان عصـبي المزاج لا يتورع عن السب والشـتم.. منعها من الخـروج وشـتمها.. تقـول: رجعت وهي تبكي، وبعد أن دخل غرفته وهي لا زالت تبكي.. تذكرت ما قلته لهن عصـرًا.. تقـول: فاعتــذرت له وهي تبكي، تقــول جــارتي: ففوجئت به يبكي معها، فكـان بكاؤها فرحة باستجابته الفورية بـالرغم من قسـوته فهي تـراه لأول مـرة باكيًـا.. فما اسـتطاعا تلك الليلة أن يناما من شــدة التــأثر.. إنها بركة الاســتجابة لأوامر الله ســبحانه وأوامــر رسوله ﷺ الـذي لا ينطق عن الهـوى إنما هو

وحي يــوحى فلله الحمد والمنــة.. تــذكرت حينها أن من أراد أن يدعو إلى الله يبــدأ ولا ينتظر مســــاعدة من فلان أو علان.. أو أن يقـول سـأنتظر أخـوات ملتزمـات يوجهنـني ويبــدأن معي.. فلنفــرض أنه لن يلتقي بمن يساعده أو من يبدأ معه فهل يضع يده على خده ويضيع أوقاته هدرًا؟ إذن المطلـوب أن نبــدأ والله ســبحانه يوفق ويســدد..«**ومن عمل صالحًا فلنفسه**».!

«كتاب الله عز وجل»

وعى قلبها حـــــديث الرســـــول ﷺ :
«خـــيركم من تعلم القـــرآن وعلمه»
فسعت إلى تعلم كتــاب الله عز وجل حـتى أتمت حفظه في مدة وجيزة، وعنــدما غلبها الكسل وحب الراحـــة؛ أســرت إليها إحــدى صــديقاتها وقــالت: أريد أن تعــرفي مقــدار الأجر العظيم في تعليم كتاب الله عز وجل. لقد قرأت حديث النــبي ﷺ وأريــدك أن تتمي آخر الحـديث: **«من دعا إلى هـدى كـان له من الأجر مثل أجــور من تبعــه، لا ينقص ذلك من أجورهم شــيئًا»** [رواه مســـلم]**.** هـــاك. لو أن طالبة تعلمت علي يديك سورة الفاتحة فحســب، ثم لما شـبت عن الطـــوق وبلغت سن التكليف وصـــلت فرضها، فإنها تقرأ الفاتحة في اليوم والليلة سـبع عشـرة مـرة. وعـدد حـروف سـورة الفاتحة 148حرفًا. فمعـنى ذلك أنها قـرأت في اليـــوم والليلة 2516 حرفًا والنـــبي ﷺ يقــول «**من قــرأ حرفًا من كتــاب الله فله به حســــــنة. والحســـــنة بعشر**

أمثالها، لا أقول «ألم» حــرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» [رواه الترمذي].

وعلى فرض أنها تصلي النوافل والسنن الــرواتب، فكم مــرة تقــرأ الفاتحــة؟ وعلى فـــرض أن هـــذه الطالبة تـــدرس الفاتحة لطالباتها غدًا.. الأمر كبير والأجر عظيم.

ولهــذا كــان أبو عبد الــرحمن الســلمي جالسًا يقرئ القرآن ويعلمه للناس ســنوات طويلة من خلافة عثمــان بن عفــان -رضي الله عنــه- إلى إمــرة الحجــاج، أي أكــثر من ستين عامًا. وعنــدما قيل له في ذلك بعــدما رق عظمه، وكبر سنه ساق حديث النــبي ﷺ: **«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»**، ثم قال: هــذا الــذي أقعــدني مقعــدي هــذا قــال الإمام الــذهبي في الســير عن هــذا المعلم. رئي بعد موته فقيل له مــاذا فعل الله بــك؟ قـــال: غفر لي بتعليمي الفاتحة أطفـــال المسلمين.

عنـــدها شـــمرت إلى هـــذه الأبـــواب العظيمــة، وجلست مجلسًــا فيه ذكــر، بل

أعظم الذكر، وهو تلاوة كتاب الله عز وجل، وكـان لها في الصف الواحد أكـثر من ثلاثين طالبة أتممن في الصف الأول جـــــزء عم كاملاً! عندها قـالت: سـوف أسـتمر.. وهـذا الــذي أقعــدني مقعــدي هــذا «**ومن عمل صالحًا فلنفسه**».

ما زال في الأرض	**للحي يدركه من**
ولم يزل في	**محمية سكنت**
ولم تزل نخلة	**مليئة بعذوق التمر**
ولم تزل واحة	**فيها مشاتل من**

النية

من أعظم حرمـــــان العبد حرمانه من العلم الشــرعي! تأمــل.. كيف بــزارع في أرض لا يعرف موعد الزرع! ولا الحرث! ولا الأعمــال الزراعية الأخــرى! قد تنبت أرضه لكن بثمـــرة قليلة على حسب علمـــه، وقد كان يكفيه من العلم اليسـير لكي تنتج هـذه الأرض المحصـول الوفـير والثمـرة الطيبـة! وهكــذا العلم الشــرعي لأن الــدنيا مزرعة الآخرة.

جلس يومًا في مجالس وكان المتحدث، يتحـدث عن النيـة، وأنها الأمر الـذي فـاز به الفــائزون، وســبق به الســابقون، فإصــلاح النيــات يصــلح العبــادات، وبإفســاد النيــات تفسد العبــادات. ثم عــرج على أمر تعــدد النية وأفـــاض في ذلـــك، وذكر قـــول أحد العلماء: «وددت أنه لو كان من الفقهاء من ليس له شغل إلا أن يعلم الناس مقاصـدهم في أعمــالهم، ويقعد للتـدريس في أعمـال النيـات ليس إلا، فإنه ما أتي على كثـير من الناس إلا من تضييع ذلك».

ثم ساق حديث النبي : «**إنما الأعمال بالنيات..**» [متفق عليه: أخرجه البخاري (1)، ومسلم (1907) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه] ثم أفاض في مثال بسيط، وهو النية عند الوضوء فقال تتعدد النيات ويتضاعف معها الأجر فأنت تنوي الوضوء امتثالاً لأمر الله عز وجل: **إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ...** [المائدة: 6] ثم أنت تمتثل أمر النبي : «**وصلوا كما رأيتموني أصلي**» ثم أنت تتوضًا لرفع الحدث والدخول في الصلاة.. ثم أنت تتوضًا وتنوي كما في الحديث أن تتساقط خطاياك مع قطرات الماء.. وهكذا. كم نية في الوضوء؟ وكم تنوي اليوم إذا توضأت؟ بعضهم نسي النية فتحولت العبادة إلى عادت يؤديها!. تأملوا في حال من يزور أقاربه، وكم نية ينويها بهذا الزيارة؟ صلة رحم، وتعليم جاهل، وأمر بمعروف، وزيارة إخوان في الله، وغيرها!.

بعد هذه الكلمة البسيطة في كلماتها

العظيمة في نفعها، لا زال يتمثل بين الحين والآخر أنه مــزارع في هــذه الــدنيا، فيجب عليه إن أراد الارتقـــاء بزرعه وحسن ثمرته أن يسلك أفضل الطرق وأنجعها، ولا يتم له ذلك إلا بـالعلم. فكيف بـأمر الـدين والجهل يخيم علي من كل ناحيـــة! كيف بي أســـير إلى الآخـــرة وأنا أبحث عن الجنة وأزرع لها دون علم فتثمر حنظلاً وشوكًا!

وعنـــدما عـــزم الأمر وبيت النية على طلب العلم الشـــــرعي جاءته البشـــــارة العظيمة من حـــديث الرســـول : «**من ســلك طريقًا يلتمس به علمًا ســهل الله به طريقًا إلى الجنة**»..ثم تـــــذكر عظم الأجر في الطلب وحين البذل فسـعى دون تـــــــردد «**ومن عمل صـــــــالحًا فلنفسه**».

المربية الصالحة

تـــرددت كثـــيرًا عنـــدما تقـــدم لها زوج توفيت زوجتـه، وتـركت له طفلين، وعنـدما اســـتخارت الله عز وجل واستشــــارت من تثق فيـه، قـالت: أحتسب عند الله عز وجل تربية هذين اليتيمين، ولعل الله عز وجل أن يأجرني على حسن التربية، وتنازعها النـاس في ذلـك.. كيف تـربين من ليسـوا بأبنائـك؟ سوف يفسدون حياتك! تخـرجين إلى الـدنيا بولـــــــدين! ليس لك إلا الهم والغم! لكنها اســـتخارت واستشــــارت فأقـــدمت على الـــزواج، وهمها كيف تـــربي الصـــغيرين؟ فكـــــــانت لهم نعم الأم الحانية والمربية الحازمـة، فنشآ وهما لا يشـعران إلا بـالحب والعاطفة والحنـــان مع حسن تربية وتعليم. ومـــرت الأيـــام ورزقها الله عز وجل بأبنـــاء فكانت تمر بالأزمـات حين يتشـاجر الصـغار أو بكاء البعض! فكانت تخـاف الله عز وجل في اليـتيمين وترعاهمـا، بل وتقـدمهما في مواضع على أبنائهـــا! ولقد عـــانت الكثـــير، خاصة عنـدما كـبر الطفلان وعرفا أن أمهما

توفيت وعلما أن هؤلاء الأخوان غير أشـقاء، مع حدة في طبـاعهم أخـذوها من والـدتهم، لكنها صـبرت وصـبرت وقـالت: أردت وجه الله عز وجل ولن يخيب ظـــني، فكـــانت المــرأة الناصـــحة، والمربية الصـــادقة. محافظة على العبــادات وتعويد على حسن الخلــق، حــتى شـبوا عن الطـوق، وكـبروا وتفــرق الأبنــاء في كل واد. لكن اليــتيمين يعـودان لها بين صـبح ومسـاء وكأنها أمهما الــتي أرضــعتهما!قــال لها زوجها يومًا وقد رأى دمعة على خـــدها والابن اليـــتيم يقبل رأســـها! لعل هـــذا يا أم فلان من عاجل البشــرى لــك! لقد رأيت ثمــرة التربية في الدنيا صلاحًا وبــرًا وأرجو الله عز وجل أن لا يخيب ظنك بجنة عرضـــــها الســـــموات والأرض.

قــــالت في نفســـها وهي تســـترجع الســنوات الطــوال: تــركت أشــياء أحبها كزوجة، وتـركت أمـورًا وتـركت و تـركت .. لله عز وجل، ثم لأربي اليـتيمين، وعوضـني الله في الدنيا خيرًا وأرجو أن تكون الآخــرة

أعظم وأكبر!.

وقفـة: قـال عبد الـرحمن بن مهـدي: والله لا تجد فقد شـيء تركته ابتغـاء وجه اللـه، كنت أنا وأخي شـريكين فأصـبنا مـالاً كثـيرًا، فـدخل قلـبي من ذلك شـيء فتركته لله وخـرجت منـه، فما خـرجت من الـدنيا حـتى رد الله علي ذاك المـال. عامته إلي وإلى ولدي. زوج أخي ثلاث بنـات من بـني، وزوجت ابنـتي من ابنـه، ومـات أبي فورثته أنا، فرجع إلي وإلى ولدي في الدنيا[1].

[1] (?) صفة الصفوة (4/6).

سنة التعدد

خلال سـنوات مضت وبتـأثير الإعلام العجيب أصـبح تعـدد الزوجـات جريمـة، وأصـبحت النظـرات السـاخطة توجه نحو الرجل المعـدد، أما المـرأة الأولى أو الثانية فإنها لا تحسد على ما فعل زوجهـا، فهي الناقصة وهي المغفلة وهي...!

عبد الله رجل مثـالي في حياتـه، وفي حسن أدبه وخلقه أما عن ديانته فأحسـبه من الأخيـار.. تـزوج الأولى وأنجب منها أطفـالاً، وكـانت زوجته نعم الأم والمربيـة، شاركته في الهموم والغموم، وفي الأفـراح والأتراح.

وحين أطالت التفكير في أمر زميلة لها مطلقـة، مضى على طلاقها سـنوات ولم يتقدم إليها أحـد، ذكرتها لزوجها وحثته على الزواج بها. وكان الأمر كـذلك وألف الله عز وجل بين قلبي الزوجـتين فكانتا كـالأخوات، وكـان الرجل عـاقلاً، حكيمًا طبق شـروط وواجبـات التعـدد، أحسن في العـدل قـدر المسـتطاع، فسـارت حياته على خـير ما

يرام، وكان من تعجب الناس كيف استطاع التوفيق بين الزوجتين؟! بل وكيف سارت حياته دون مشاكل تذكر؟!

وكان الزوج محبًا للأيتام والأرامل، ودعا الله عز وجل أن يجعله ممن يرعون الأيتام والأرامل ويقومون بحاجتهم فيسر الله له العمل في أحد المبرات الخيرية، فقام بالرعاية والكفالة، وكأنهم أبناؤه، بل كان يتابع في مدرسته الطلاب الأيتام هل تناولوا مثل غيرهم من الطلاب طعامًا في الفسحة المدرسية أم لا؟

ومرت الأيام وهو على تلك الحال، حتى علم بأرملة توفي عنها زوجها، وكان زوجها من أهل الصلاح والخير، وترك خلفه سبعة أطفال. عندها راودته فكرة الزواج بهذه الأرملة، فتلمس الآراء.. وما أكثر من عارض هذا الزواج! امرأة كبيرة وسبعة أطفال! وعندها تقدم لهذه الأرملة المسكينة،فقالت : أريد صغاري معي! فقال: والله ما تقدمت إلا لهؤلاء الصغار. وكان الله عز وجل رحيمًا بهؤلاء أمًا وأبًا

فـرزقهم زوجًا مشـفقًا على أمهم، ورزقهم أبًا حنونًا عوضـهم بعضًـا من حنـان وعاطفة والدهم!

بعد شهور .. قال الزوج كلما تذكرت أن عنـدي سـبعة صـغار أعـولهم سـارعت إلى شـراء ما يريـدون، وكلما جلست وسـطهم تـذكرت مكـان والـدهم فـأخفي الدمعـة! وجعل الله له مع الثلاث زوجـات، مـودة ورحمة وسـكن ما رأى مثلها في حياتـه، وفتح الله عليه من رزقه ما لم يكن ينتظـره! «**ومن عمل صـالحًا فلنفسه**»...

الزوجة البارة

تزوجت من شاب يقيم مع والدته، ويـبر بها ويتابع حالتها الصحية كل يوم، فقد كانت مقعدة تحتاج إلى عناية خاصة!

فــوجئت الزوجة بــالأم وحالهــا! وكــان لرفيقات السوء صولة وجولة: مـاذا تريـدين بهـذه العجـوز؟ أين أبناؤها وبناتهـا؟ سـوف تحرمك من الخـــروج والـــدخول؟ وكـــان الشـــيطان يبتسم فرحًا مســـرورًا بحـــديث أولئك النسوة!

لكن الزوجة العاقلة قــالت: ســاق الله الخير إلى سوقًا! أخدم امرأة مســلمة ديانة وقربة إلى الله عز وجـــــل، وأحتسب ذلك عند الله!

نعم لقد حرمتني من الخروج كما أريد.. لكن الله عز وجل أنزل علي السكينة، وأقر عيـــني بمحبة زوجي لي!والله إني لأشـــعر بالتوفيق وألامسه كل يوم في حياتي!

تقر عيني بلقمة أناولها إياها صـدقة كل يــوم! تقر عيــني بتعليمها آيــات من كتــاب اللــه، تقر عيــني بمســاعدتها على الوضــوء

والقيام للصـلاة! لقد أعـانتني على نفسـي، ورحمني الله بوجودهـا، فأصـبحت سـعادتي أن أبقى في مملكتي الصـغيرة لا أغادرهـا.. وإن خـــــرجت فعلى عجل ووجـــــل! لا تهنأ نفسي ولا ترتاح، إلا إذا دخلت بيتي فإذا بي أسمع الدعاء والذكر والتكبير والتهليـل! لقد وجــدت حلاوة وسـعادة لا يعـدلها الخــروج لحضور زواج أو مناسبة! انشراح في الصدر وبهجة في النفس! وأدعو الله أن يجعل ذلك العمل خالصًا لوجهه الكريم!

وقفة: قيل لأبي عثمـان النيسـابوري: ما أرجى عمل عنـــــدك؟ قـــــال: كنت في صـــــبوتي يجتهد أهلي أن أتـــزوج فـــآبى، فجاءتني امرأة فقالت: يا أبا عثمان! أسألك بالله أن تتزوجـني، فأحضـرت أباهـا-وكـان فقـيرًا- فزوجـني منهـا، وفـرح بـذلك. فلما دخلت إلي رأيتها عـوراء عرجـاء مشـوهة!! قـــال: وكـــانت لمحبتها لي تمنعـــني من الخـــروج، فأقعد حفظًا لقلبها ولا أظهر لها من البغض شيئًا وإني على جمر الغضي من بغضها، قال فبقيت هكذا خمس عشرة سنة

حتى ماتت، فما من عملي شــيء هو أرجى عندي من حفظي لقلبها.[1]

---

1 (?) صيد الخاطر: 349.

بر الوالدين

جد في الحصـــــــــول على وظيفة في مدينته الـتي تخـرج منها والـتي كما قـال: لا يطيق الخروج منهـا..فهو فيها مثل السـمكة في الماء!.. فقد كان له أصـحاب وأصـدقاء ومعارف وجيران. شاب يحب الناس ويأنس بمجالســتهم ومحــادثتهم. وأعانه الله على إيجاد الوظيفة التي يرغب في المكان الذي يحب!

بدأ عمله في جد ونشــاط، محبوبًا لــدى زملائه دمث الخلق، حسن المنطـق، ولهـذا بدأ يترقى في منصبه الوظيفي وتحظى من سبقوه بسنوات!

قـال له يومًا أحد أصـحابه: لعل توفيقك في هــذه الوظيفة بســبب بــرك بوالــديك! قال: أرجو ذلك فهـذا من علامـات البشـرى لي بأن الله عز وجل تقبل مني القليل!

وأراد الله عز وجل أن يجعل الـــــــــبر امتحانًا للشاب، فقد سمع والــده يومًا يثـني علي قــريتهم، ومــزرعتهم المهملة هنــاك. وقـال الأب في معـرض حديثـه.. أتمـنى أن

أعيش بقية عمري هناك..

انتهى الحديث لكن الشـاب بـدأ يفكـر.. هذه رغبة أبي، ولعل من البر أن أحققها له، وأجعله يهنأ بهذه الأمنية في هذه السن.

وكان الغد يومًا مشـرقًا في حيـاة الأب، فقد بشـــره الابن، أنه ســـوف ينتقل إلى القرية، وسوف يقيم هناك. لكن الأب أظهر الـــتردد وعـــدم الرغبة في المشـــقة على الابن، ثم أطلق من لســــــــانه كلمة .. والوظيفة يا بني!

قـــال الابن: الوظيفة هي أن أبر بـــك.. هذه وظيفتي التي أتقرب إلى الله عز وجل بها مع الطاعات الأخرى!

تلعثم الأب ونـــزلت دمعة من عينه على هذا البر ورفع يديه إلى السماء ودعا بـــدعاء حار متواصل، لانقطـاع له وسـأل الله للابن التوفيق في الـدنيا، والآخـرة، وكـان آخر ما دعا له به أن يســـكنه وذريته الفـــردوس الأعلى!«**ومن عمل صالحًا فلنفسه**»..

الفهرس